المنظور السياسي في قصص محمد خضير

أ. د. وحيدة صاحب حسن محمد جواد كاظم

جامعة القادسية/ كلية التربية / قسم اللغة العربية

political perspective in the stories of Mohammed Kodair

DR. Waheda Sahib Hasan Mohammed jawad kadom

Waheda223453sa@ gmail.com Mohqmedjawd1980@gmail.com

Abstract

This research targets a political perspective in the stories of Mohammed Kodair and his role in detecting the effects of the political events of the persons and the privilege of the war. He has been particularly interested in woman's infertility in the midest of those political conflicts and its effective role in the faces of living.

Key words: perspective, character, narrating, voice, narrator,situation, description

الملخص:

يستهدف هذا البحث دراسة المنظور السياسي في قصص محمد خضير ودوره في الكشف عن الآثار التي تتركها الأحداث السياسية على الشخصيات القصصية، وخاصة مسألة الحرب، وقد أهتم بشكل خاص بمعاناة المرأة في خضم تلك الصراعات السياسية، ودورها الفعال في مواجهة مصاعب الحياة.

الكلمات المفتاحية: منظور، شخصية، سرد، صوت، راوي، موقع، وصف.

المقدمة

الحمد لله الصلاة والسلام على نبيه محمد خير الأنام وعلى آله وصحبه وسلم. أمّا بعد..

يُعد الفن القصصي من بين أهم أنواع الفنون الأدبية التصاقا بالمجتمع، فهو طالما حمل في طياته تجارب الأفراد في ظل تغيرات الواقع، لاسيما بعد النهوض الثقافي والفكري للمجتمع العراقي وخاصة بعد انهيار الدولة العثمانية، ودخول العراق مرحلة جديدة من الاستعمار باحتلاله من قبل بريطانيا، وقد جاء المنظور السياسي في هذا البحث ليسلط الضوء على المآسي التي تحملها تلك النزاعات والحروب، وتلقي بظلالها على أفراد المجتمع بكل فئاته، وتؤدي بالتالي إلى ظهور مشاكل تكرس واقع الفقر والجهل فيه، وكان ثقل تلك المعاناة يقع على عاتق المرأة، فهي التي تنوب عن الرجل حال غيابه عن بيته وترعى الأسرة، فتتحمل أعباء المسؤولية وتواجه الواقع الحياتي المرير في ظل قسوة العالم المادي. كما أنّ المنظور رصد حالة الأبناء الصغار في أثناء غياب الأب عنهم وبقائهم بانتظاره متأملين لرجوعه، متوجسين وخائفين من سطوة تيارات الحياة القاسية.

ورصد المنظور أيضا المساوئ التي تخلفها النزاعات والصراعات السياسية بكل أشكالها على أفراد المجتمع، وخاصة صراع القوى الوطنية ضد الاستعمار والاستغلال التي ظلت على مدى سنين طويلة تنخر في جسد المجتمع العربي.

المنظور السياسي

مرّ العراق ومنذ بدايات القرن العشرين بمراحل سياسية كبيرة أثرت بشكل أو بآخر على طبيعة المجتمع، فصبغته بطابع الترقب والخوف من المستقبل لما تحمله تلك الأحداث من تغييرات تؤثر على المستوى المعيشي لكثير من الأفراد، وقد رصد المنظور السياسي لدى محمد خضير* تلك المآسي التي خلفتها الصراعات السياسية على المجتمع فـ"يكشف عن شخصية الأديب وما ينعكس في نفسيته من آثار"[(895)]. وتبدأ أكثر تلك الصراعات عند مجيء الاحتلال البريطاني بعد الحرب العالمية الأولى

(895) أسلوب أحمد مطر السياسي رؤية نقدية، أ.م. دكتر شاكر عامري و أ.م.علي صياداني و م.م. صديقة أسدي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 21، حزيران 2015: 3

"ونهاية الحكم العثماني للعراق الذي استمر أربعة قرون " [896]، فقد ازداد "إحساس العراقيين بتخلفهم، وسوء واقعهم، وضرورة تغيير هذا الواقع"[897]، وامتدت تلك الصراعات حتى سقوط الملكية وإعلان الجمهورية عام 1958، وبعد ذلك بدأت مرحلة جديدة تميزت بالعنف السياسي بين التيارات والأحزاب فذهب ضحيتها الكثير من الأفراد، فضلاً عن الحروب التي خاضها العراق ومنها حرب الشمال وحرب الخليج الأولى والثانية وما سببتها من مآسي ومعاناة [898]. إنّ هذه الأجواء ساهمت بظهور الكثير من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وكرست واقع التخلف والفقر، وقد تركت آثاراً وجروحا عميقة في جسد المجتمع ليس من السهل أنْ تندمل بسرعة، كما ساعدت تلك الظروف على تفكيك أواصر المجتمع واستهدافها لكيان الأسرة من خلال مسألة الغياب فهي " جزء من بناء الشخصية العراقية والواقع العراقي. وما زلنا نعيش زمن الفقدان والنفي والضياع"[899] بسبب تلك السياسات الهوجاء، "فالنظام الاجتماعي في العراق تعرض إلى هزات داخلية وخارجية عنيفة وقوية "[900] عبر تلك الصراعات السياسية المقيتة.

وقد عمدت كثير من الأعمال الأدبية إلى انتقاد تلك الصراعات المدمرة ورفضها، فحولت " هذه الرؤية المدانة إلى موقف إنساني اشمل من لغة الإدانة المحددة بفترة تاريخية، وبأشخاص معلومين، وبأرض وجغرافيا مسماة "[901] فهي بغيضة كيفما كانت وبأي زمن حدثت، وليس فيها غالب، فالكل خاسر.

إنّ المنظورات السياسية في أغلب قصص محمد خضير تؤكد على مسألة الغياب التي خلقتها الحرب، فـ"علاقة الغياب تحل محل علاقة الحضور " [902] للآباء أو الأبناء، وتعكس حالة الألم والحرمان التي يعيشها ذويهم، فيصور المنظور السياسي " هذه الفئات البائسة من خلال عرض واقعها الحياتي المتردي وتصوير همومها الخاصة"[903] التي كان سبب معظمها هو الحرب بشكل مباشر أو غير مباشر.

إنّ المنظور السياسي في بعض القصص تناول تأثيرات الحرب المدمرة على أفراد المجتمع بشكل عام، والمرأة بشكل خاص وفي قصص متعددة [904]، فعلى سبيل المثال تحمل قصة (الأرجوحة) "لمحات إنسانية لم تحوها القصة العراقية المعاصرة"[905] تتضمن هذا المعنى "لتقدم صورة كاملة أو حتى شبه كاملة عن الواقع "[906]، فيأتي المنظور ليركز على شخصيتين رئيستين وهما: ابنة الجندي الراحل (علي) وصديقه (ستار) الجندي الزائر الذي يحمل خبر وفاته، ويشير هذا المنظور إلى سطوة الحرب وتأثيرها على بنية الأسرة خاصة بعد رحيل رب الأسرة، إذ تصبح العائلة بمواجهة قسوة الواقع الحياتي، فضلاً عن حالة الحزن والألم الذي يتركه الفراق على العائلة، وقد تحرك المنظور في البداية ليرصد هيأة الجندي الزائر التي توحي بحالته البسيطة والفقيرة، فهو حليق الرأس يقود دراجة خفيفة يترنح فوقها كالنائم ويمر بالبساتين التي "**تبعثرت فيها جذوع النخيل وأعشاب السوس والحلفاء المتوحشة**

---

[896] الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب (1914-1932م)، م. أناس حمزة الجيلاوي، مجلة كلية التربية الأساسية / جامعة بابل، العدد 7، آيار، 2012: 194

* محمد خضير: هو قاص عراقي ولد عام 1945 في مدينة البصرة له خمس مجموعات قصصية وهي (المملكة السوداء عام 1972، في درجة 45 مئوي عام 1978، رؤيا خريف عام 1995 عام، تحنيط عام 1998، حدائق الوجوه عام 2009) ورواية (كراسة كانون 2001) وكتاب (بصرياثا- صورة مدينة عام 1993، وأحلام باصورا 2016) وهما عن مدينة البصرة، وله كتب نقدية (الحكاية الجديدة عام 1995، السرد والكتاب عام 2010، ما يمسك وما لا يمسك عام 2017، رسائل من ثقب السرطان مقالات عام 20017، تاريخ زقاق مقالات في مئوية السرد العراقي) ينظر، كتاب رسائل من ثقب السرطان، الغلاف

[897] نشأة القصة وتطورها في العراق 1908-1939، د. عبد الإله أحمد:79.

[898] ينظر، موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، كمال ديب: 33، 34.

[899] محمد خضير: نساء (المملكة السوداء) كلهن حقيقيات،مجلة إمضاءات، العددان الثالث والرابع، كانون الثاني 2013: 228.

[900] التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاسها على العائلة الريفية العراقية دراسة ميدانية، م.د. حمزة جواد خضير وم.م. أحمد جاسم مطرود، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد،26، نيسان 2016: 296

[901] ما تخفيه القراءة دراسات في الرواية والقصة القصيرة، ياسين النصير: 232.

[902] مرآة السرد، د مالك المطلبي و عبد الرحمن طهمازي:13.

[903] الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، د عبد الإله احمد،ج 2: 82.

[904] ينظر، مجموعة قصص(المملكة السوداء)الأرجوحة:127، تقاسيم على وتر الربابة:115، حكاية الموقد:99، القطارات الليلية:151.

[905] وراء الأفق الأدبي مقالات، د. علي جواد الطاهر: 25.

[906] الفانتازيا في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2003 م دراسة في روايتي وفاء عبد الرزاق وإيناس أثير، أ.د.عباس رشيد الدده وم.م. سعيد حميد كاظم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 39،حزيران 2018: 263

"[907]، وقد جاء الوصف هنا " مكثفاً وموحياً للحالة النفسية التي كان عليها الفتى وتتطابقها مع صورة الطبيعة المتجسدة بتبعثر النخيل "[908] وانتشار الأعشاب المتوحشة، فكيف يستطيع نقل خبر وفاة صديقه إلى أهله؟ مع انتظار ابنته الصغيرة لقدوم والدها من الحرب. كما ركز المنظور على شخصية الطفلة ويرصد هيأتها من الخارج شعرها رقبتها ويصف أيضا أرجوحتها فهي قد صنعت من مواد بسيطة حبال و (كيس خيش) وهي تدل على المستوى البسيط الذي تعيش فيه عائلة الجندي المُتوفى "**ساعد الزائر الطفلة على الاستقرار في حمالة الأرجوحة المقتطعة من كيس خيش، ثم جلس على الحصير الذي فرشته العجوز تحت الشجرة... نهض الزائر وقبلها، وكانت تغوص في حمالة الأرجوحة المشدودة من أطرافها إلى الحبال المتينة وتلقي برأسها على عضد ذراعها الممسكة بحبل الأرجوحة، يعكس شعرها القصير موجات حمراء ويكشف عن رقبتها النحيفة... انحنى خلف ظهرها ثم دفعها دفعاً، ولكنها طلبت منه أن يؤرجحها بقوة حتى تطير**"[909]، كما ركز المنظور على الأثر الذي يتركه حالة فقدان الأب للطفلة فهي لا تستطيع أنْ تدرك أنّ أباها لن يعود، فيحاول الجندي الزائر أن يأخذ دور الأب ويقوم بكل ما كان يفعله، فيسبح أمامها، "ويتعمد أرجحتها لتعبر لنهر، النهر الحقيقي، والنهر الزمن "[910] ليخفف من وطأة المعاناة والألم الذي يتركه رحيل والدها في نفسها، كما يقوم بإجلاسها في حضنة في الأرجوحة كما كان يفعل أباها، ويخبرها بان تتخيل وجود والدها عند إغماض عينيها، لأنّه أصبح كالدخان يختفي حالما تستيقظ "**لكنّه كالدخان. تذكري يا حليمة إنّه كالدخان.**

- **لم أره جيداً كنت. في حضنه.**
- **أأجلس معك في الأرجوحة ؟**

أوقف الحبال المتأرجحة وأنزل حليمة، ثم رفعها لتستقر في حضنه داخل حمالة الأرجوحة، وحاول أن يهز جسديهما بقدميه... إتكئي إلى صدري يا حليمة وأغمضي عينيكِ... وما اسمكَ ؟

- **ستار.**
- **كاسم المختار. نحن نلعب خلف المغسل ويريد أنْ ندخله ؟**
- **مغسل الموتى ؟**
- **نعم. أرني أبي الآن. أراه يخرج من الحقيبة هناك ويأتي نحونا.**
- **بلا رأس ولا يدين ولا رجلين ومن دون ثياب. كالدخان**
- **نعم. نعم.**
- **دعيه يقترب. تظاهري بالنوم ولا تفزعيه لأنّه لا يحب غير النيام كالموتى**"[911]،الجندي الزائر يحاول أن يجسد دور الأب للطفلة حليمة فلا تشعر بفراغ غيابه كما يقرب إليها فكرة رحيله للأبد.

أمّا في قصة (حكاية الموقد) فإنّ منظور الراوي الخارجي يرصد حالة الانتظار والترقب الذي تعيشه زوجة الجندي الغائب (وهي الشخصية الرئيسية في القصة) الذي يرحل عنها زوجها بسبب الحرب، وما يعكسه ذلك من شعور بالألم والوحدة، فـ"تتصوره قادماً والأجراس ترن ولكنه لا يأتي فيزداد شوقها وحنينها"[912]، ويأتي هذا المعنى " بالتناوب مع الحكاية الخرافية التي ترويها الجدة أم عباس لعائلة الجندي الغائب والتي تنتهي بموت بطلها إرهاصاً بموت الجندي الغائب" [913]، فتبقى الزوجة تنتظر دون جدوى كما هو حال ابنة السلطان في الحكاية الخرافية[914] " **تعتقد الأم الصغيرة إنّ الجادة الضيقة الممتدة بين العشب الأبري من**

---

[907] المملكة السوداء، مجموعة قصصية، محمد خضير: 127
[908] قراءات نقدية في نصوص روائية،د. فاطمة أبو رغيف: 64
[909] المملكة السوداء: 131.
[910] القاص والواقع، ياسين النصير: 74.
[911] المملكة السوداء: 139، 140.
[912] القصة القصيرة في العراق 1968-1973، د. فاطمة أبو رغيف: 94.
[913] قراءات في الأدب والنقد، د.شجاع العاني: 88.
[914] ينظر، المملكة السوداء: 105.

المحطة للبيت ذات أجراس من يطأها تقرع منبهة، كانت تتوهم أنّ الأجراس تقرع الآن، ووَدّتْ لو تقول: جاء، لولا عادة السكوت التي تعودوا عليها في أثناء هذا الطقس. تصورته يأتي، والأجراس ترن وها هو يعبر الجادة وسيستغرق وصوله زمنا تراجعيا ينتسب لأرض مفرغة من الهواء.. وستأتي رائحته أولاً، ثم حفيف سرواله الثقيل يصطك بكعبيه، ثم يسيل لونه من شقوق الباب – سيأتي بعد إغماضة عين، بعد حسرة اشتياق، بعد همسة رغبة، ألان، ألآن، ألآن، ألآن، ألآن ألآن ألآن... (مليون ألآن)

- لن يأتي هذا المساء.

قال أحدهم هذه العبارة كإشارة لانتهاء فترة الإنصات الأخيرة لهذا المساء.

- لن يأتي.

كرر الصبي

- في الليلة التالية ربما.

قالت الجدة المطروحة.

اعتبرت الأم الصغيرة الطقس الحنظلي منتهياً "[915]. إنّ عبارة (ستأتي رائحته أولاً) و (سيأتي بعد إغماضة عين) تأتي من منظور الراوي الذي يلتقي مع منظور شخصية (الأم الصغيرة)، فتكرار الفعل (يأتي) يدل بشكل واضح على حالة الانتظار المضني والمرير الذي يتركه غياب الجندي (رب العائلة) من دون أمل بعودته إليهم، فعدم رجوعه ترك جرحا عميقا في قلب زوجته، فهي قد فقدت الإحساس بالأمان، كما افتقدت الإحساس بأنوثتها، لعدم وجوده بقربها، ويدلل على ذلك تعبير الراوي (بعد حسرة اشتياق، بعد همسة رغبة)، كما يشير تكرار لفظة (الآن) إلى قوة ذلك الشعور بالفراغ الذي تركه الزوج الغائب في عائلته وخاصة (زوجته) التي تعاني من ألم الوحدة، كما يوحي هذا التكرار المتتابع على الإيحاء بالتلاشي والانتهاء "وهكذا يصبح المجال النسوي، هو المجال الحيوي للسرد " [916] في القصة.

كما رصد المنظور من جانب آخر تأثير حالة الانتظار على أفراد العائلة (أم الجندي الغائب، وطفلاه) فيقترب ليرصد حالة الخوف والتوجس من البقاء بدون رعاية رب الأسرة، فتكون الأشياء والأصوات في خارج البيت صاخبة ومرعبة "**وهكذا أنصتوا، فسمعوا قطاراً يقترب من المحطة القريبة من البيت. كان للقطار صوت شيطاني، غير أرضي، يتردد دويه في وعاء الليل بصدى يحاكي صدى اقتلاع النجوم من مكانها، وكأنه في اقترابه المسرع من المحطة الرملية حيوان أسطوري ذو أرجل حديدية. كان القطار وهو يخترق أغشية الليل العذرية يوقظ النباتات لغافية خلف سكة الحديد (وإذن، فإنّ ذلك النعيب المروع الذي يسمعه أفراد الموقد كل مساء، ما هو إلّا صراخ في الجذور أوقظها صرير العجلات الثقيلة... كما أنّ نباح الكلاب ينتشر كأنين السعالى في حلفاء البساتين الممتدة خلف البيت حتى النهر** "[917]، إنّ عبارات مثل (يتردد دويه، صدى اقتلاع النجوم، صوت شيطاني، النعيب المروع، صراخ في الجذور، نباح الكلاب كأنين السعالى) تشير إلى الحالة التي تطغى على أفراد الموقد بسبب غياب رب الأسرة عنهم فهم مجتمعون حول الموقد مرتعبون من الأشياء في خارج مأواهم.

ونجد تناولا لمسألة معاناة المرأة بسبب الحرب أيضاً في قصة (القطارات الليلية)، التي يقوم بناؤها على نسق التناوب[918] ويقترب من فن السيناريو[919]، فمنظور الراوي الخارجي يتحرك في هذه القصة مثل آلة الكاميرا مع شخصية الجندي، ويرصد المشاهد التي شكلت بناء القصة، وقد قسمت إلى قسمين يركزان على مسألة الفراق المضني لـ(جندي الحرب) عن ذويه، كما يرصد

---

[915] المملكة السوداء: 112.

[916] مرآة السرد، قراءة في أدب محمد خضير، د مالك المطلبي و عبد الرحمن طهمازي: 20.

[917] المملكة السوداء: 101، 102.

[918] التناوب:وهو يقوم على رواية عدة حكايات في وقت واحد بحيث نتوقف عن سرد الحكاية الأولى لنروي جزءاً من الحكاية الثانية ثم نتوقف عن سرد الحكاية الثانية لنروي جزءاً من الحكاية الثالثة، وهكذا إلى نهاية الحكايات. ينظر، الأدب والدلالة، تزفيتان تودوروف:71، وكذلك ينظر، معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني: 65.

[919] ينظر،البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د شجاع العاني: 37.

المنظور الآثار النفسية الجسيمة التي تخلفها تلك الحروب على أفراد المجتمع فـ"فاقمت من معاناة الطبقة الفقيرة وزادت من انسحاقها وبؤسها" [920]، وقد تصل أحياناً إلى درجة الجنون، كما حصل للمرأة الملثمة (بائعة اللبن) التي ظلت تُرسل رسائل فارغة وبدون عنوان إلى زوجها (الجندي الغائب) في جبهات القتال الذي لن يعود أبداً. إنّ المنظور في المشهد الأول(قطار خارج السكك) يتحرك باتجاهين: الأول يرصد حركة الجندي والمرأة داخل صالة السينما، وهما يقضيان آخر ليلة قبل أن يذهب الجندي إلى جبهات القتال، ولعله يمثل أكثر مشهد يشكّل إزعاجاً وضغطاً على النفس ؛ لاقتراب وقت الرحيل والفراق، فيحاولان أن يستمتعا بوقتهما قدر المستطاع، " **قالت المرأة في الصالة:**

- **هل انتهى الفيلم ؟**
- **لا أظنه انتهى. ألكِ رغبة في مغادرة السينما ؟**
- **لي رغبة في الذهاب إلى البيت. إننا وحدنا فقط نشاهد هذا القطار المجنون.**

قادها لرجل في الممر المظلم.

- **كان يجب أن أختار لكِ فلماً آخر أو نذهب إلى مكان آخر. هذه ليلتنا الأخيرة.**
- **سنقضي ليلتنا في الغرفة** " [921]، ويتجه المنظور الثاني نحو مشاهد الفلم وأحداثه الجارية في أحد القطارات الليلية التي ينتقل بها الجنود إلى جبهات القتال، فيأتي المنظور بشكل بعيد ليصف هيأة القطار وعجلاته ونوافذه، وبعد ذلك يقترب أكثر ليصف مشاعر الجندي أثناء سير القطار وسط الظلام مملوءاً بالحزن والكآبة، فيضغط ذلك الموقف على نفسه ويجعله يصرخ من الأعماق "((**إنّ السرعة ومنظر النجوم المشطوبة يُشعران الجندي بالتدحرج في صدفة واسعة عميقة، لينة، متأرجحة على نوابض صارخة وهذا ما يجعله يحس أنّ القطار يتحرك على حافة السماء المدرعة ويسحب خلفة أطناناً من الظلام المعبأ في بالونات من الحديد، داخل وعاء هائل الاتساع سُلطت عليه تيارات هوائية تدفع بتلك البالونات بعيداً عن القطار حيث تتوالى انفجاراتها، كهدير أفواه تنشد أغنية واحدة، بصراخ واحد لا ينقطع، أغنية القطارات الخارجة عن السكك تدوي في الخلاء**))"[922].

أمّا القسم الثاني فيقترب منظور الراوي الخارجي ليرصد ألم المعاناة للمرأة (بائعة اللبن) إذ "تجلس بانتظار رجل غائبٍ لا يأتي "[923]، زوجها المفقود في الحرب منذ مدة طويلة، وذلك الحدث قد أفقدها صوابها وغيّر ملامح وجهها ولونه فأصبح مثل لون الرمل بلا رونق " **ترددت ثم أزاحت اللثام الأسود، وتطلع الجندي إلى وجهها الذي غمره الضوء وشطب ملامحه التي تكونت للتو. استدار يلحق بعربته وقد عبرته النوافذ... فضّ المظروف، وكان يحتوي على ورقة كبيرة بيضاء من دون كتابة. قلبها بيده ثم بسطها على الفراش. وقالت المرأة تحت اللحاف:**

- **خالية من الكتابة.**
- **نعم. ذلك غريب. لِمَ فعلت ذلك ؟**
- **كيف هي ؟**
- **لم أرها في إجازتي هذه. لا اعرفها تماماً. كنت قد رأيت وجهها للحظات قليلة إذ كانت ملثمة**
- **إني أتصورها الآن..تقف بانتظار القطارات لتُسلم الرسائل العديدة الخالية من الكتابة... لها وجهٌ يقظ. كوجهي**

تأمل وجهها النظيف الجميل على الوسادة المطرزة، وقال:

---

[920] شخصية المثقف الماركسي في الرواية العراقية، صبا علي كريم المعموري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 23، تشرين الأول 2015: 100

[921] المملكة السوداء: 158،157.

[922] نفس المصدر: 154،153.

[923] القصة القصيرة في العراق 1967 – 1973، د.فاطمة أبو رغيف: 96.

- **لكنه لا يشبه وجهكِ. كان بلون الرمل. ولكِ وجهٌ متألق في هذا الضوء القوي**"[924]، لا شك أنّ فقدان الزوج يترك جرحاً عميقاً لدى المرأة، وقد أدى هذا الفقدان هنا إلى تصرفات بعيدة عن التعقل، فالمرأة ترسل رسائل خالية من الكتابة ومن دون عنوان إلى زوجها المفقود، وتُعد هذه الحالة واحدة من بين المآسي الكثيرة للحرب.

وفي قصة (تقاسيم على وتر الربابة) يأتي المنظور ليرصد معاناة الجنود المصابين في الحروب نتيجة الإنفجارات والقنابل فتخلف عاهات وتشوهات لكثير منهم قد تدوم مدى الحياة " **هناك كنا مئات في المستشفى. بيننا محترقون... لست أعرف أحداً منهم ولا أتذكر واحداً منهم الآن. كنا نرقد في الظلام ولم نكن ننام.نسمع المدافع باستمرار تتناوب في التفرقع بعيداً وقريباً..... يهتز المبنى فيسقط الجرحى على الأرض من أسرتهم ثم يموتون. ومن الصعب اكتشاف الموتى في الحال كانوا متشابهين في ضماداتهم القذرة** "[925]، من الواضح أن حالة للجندي الجريح كانت مرهقة بسبب إصابته البليغة التي أقعدته في المستشفى لفترة طويلة، وقد أثرت تلك الإصابة على حياته الاجتماعية فلم يعد كما كان في السابق " **لم ترددي شيئاً من اللحن كالعادة. أأصبحتُ لا أجيد العزف.**

- **لم يكن من ألحاننا التي نعرفها ولم أعتد هذا العزف.....**
- **لستُ أصلحُ لشيء**

ومسح الدم الذي كان يجري من أصابعه بسرواله، كانت يداه ترتجفان:

- **أحدث لك شيء ؟**
- **في رأسي. رأسي مليء بالحجر. كنتُ أريد إمتاعك. ولكني لا أصلح لشيء كما رأيتِ.**

قدماي محشوتان بالثلج وكذلك جيوب سروالي " [926] لعل العاهة التي لحقت به بسبب الحرب قد أثرت على حالة الجندي النفسية فجعلته يشعر بالثقل في رأسه وباقي أنحاء جسمه فكأنّه محشوٌ بالثلج، مما أفقده القدرة على التواصل مع الآخرين فهو لا يصلح لشيء.

أمّا المنظور السياسي الخاص بمسألة انتقاد الحكم الأجنبي للبلاد ومساوئه، فقد عبرت عنه قصتا (احتضار رسام) و(الفاتح مود)[927] ورصدتا هذا المفهوم أيضاً، ففي قصة (احتضار رسام) جاء المنظور السياسي للراوي الخارجي لينتقد أوضاع البلاد أثناء الحكم العثماني، ويصور تردي الحالة الاقتصادية والاجتماعية فيها بسبب سوء الإدارة مما أدى إلى انتشار الجوع والمرض بين أفراد الشعب، لقد "أنضجت الحياة الثقافية والسياسية العراقية عبر تاريخها القريب، الكثير من المواقف الفكرية التي أسهمت في تحديد زاوية النظر لما مرّ ويمّر العراق به"[928]، فجاء المنظور على محورين: الأول اتجه المنظور فيه إلى انتقاد الممارسات التي يقوم بها أفراد السلطة العثمانية بعيداً عن هموم الشعب، فهم منشغلون بملذاتهم، ينتهجون العنف والقسوة في معالجة أمور البلاد، وقد صنع محمود أفندي "من وعيه ببغداد وأزقتها مادة لإدانة الاحتلال "[929] برسوماته الفنية " **وجمد الرسام علائم الوجوه بخطوط عميقة مرصوصة كي لا تفلت أو تبهت: الإمارات الغامزة الملتحية بشعيرات خفيفة، والإمارات الزاهدة الملتحية بلحى كثة.. الصرامة الانكشارية المقلدة بالسيوف، والوسامة المملوكية تسكبها نظرات فاترة، والعظمة العثمانية الماثلة بالأوسمة والعابقة بأنفاس التنباك والأفيون. غير أنّ جلسات رسم الولاة بالحبر الصيني كانت تتحول إلى أحلام يقظة. ففي تخطيطات الحبر يظهر راس الوالي ضمن تفصيلات خيالية وديكورات حياة يومية حافلة: احمد باشا يصارع أسداً، مرتضى باشا يمارس التنجيم. السلطان الرهيب مراد متنكرا في زي درويش، جالس على حجر رحى مثبت على فوه بئر في دار بغدادية وعلى رأسه طست**

---

[924] المملكة السوداء: 162، 165،164.
[925] نفس المصدر: 120
[926] المملكة السوداء:124
[927] حدائق الوجوه، مجموعة قصصية، محمد خضير: 47.
[928] ما تخفيه القراءة، ياسين النصير: 229.
[929] إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير: 243.

مليء بدم شاة، فيما استغل المنجمون استغراق السلطان وذهوله ومناجاته الصامتة واطلوا من أبواب حجرات الدار في حذر وفي شبه ظلمة واكفهم يمدونها إلى نور الحوش يملاها رمل خط عليه: إنّ السلطان يجلس على جبل بين بحرين، بحر من الدم وبحر من الماء. " [930] إنّ في تعبير الراوي (العظمة العثمانية الماثلة بالأوسمة والعبقة بأنفاس التنباك والأفيون) إشارة إلى انشغال أفراد السلطة الحاكمة بأنفسهم وملذاتهم الذاتية بالرغم من تردي أوضاع الشعب الاقتصادية والاجتماعية فهم يعيشون في عزلة تامة عما يجري في المجتمع، " فازداد إحساس العراقيين بتخلفهم، وسوء واقعهم، وضرورة تغيير هذا الواقع " [931]، كما أنّ تعبيره عن الحاكم العثماني بأنّه (السلطان الرهيب) دلالة على قسوة الحكم العثماني وقهره للشعب، ويأتي بعد ذلك التعبير (إنّ السلطان يجلس بين بحرين بحر من الدم وبحر من الماء) ليبين سياسة الحكم في البلاد التي أسالت الكثير من الدماء، حتى كأنّ السلطان يجلس بين بحرين من الدم والماء. أمّا المحور الثاني فالمنظور يقترب من الشخصية الرئيسية (محمود أفندي) ويرصد معاناته جرّاء الحرب التي خاضها العثمانيون ضد قوات الاحتلال البريطانية، فقد أُسِرَ وسُجن على إثرها لمدة أربع سنوات مضنية تركت أثراً كبيراً عليه حتى بعد رجوعه إلى وطنه " **تعلم (محمود أفندي) الرسم متأخراً، عندما كان أسيراً في (بونا)...بدأ برسم السفينة التي نقلت الأسرى من البصرة إلى بومبي على نموذج لها مطبوع على كارت، ثم رسم حراسه وزملاءه... كان يلقي بالوجوه في جحيمٍ من الفحم، وخلفيات هي ستائر ذات ثنيات حادة أشبه بستائر من الصفيح. وبالطبع كانت في الخلفيات مسامير ونوافذ وبنادق وأحياناً زهور جامدة في مزهرياتها جموداً معدنياً. ولعله أراد أنْ يسجل درجات الحرارة التي تصل إلى 47 مئوي في إلتماعات هذه الأزهار ونعومة ملمسها وسخونتها وجوها الرطب، وجسد على الأزهار قطرات ماء، فيما كانت الوجوه تنضح عرقاً. وعندما يرسم حارسه المسمر خلف الأسلاك يجعله ينظر إلى الأمام ضاحكاً، وقد بدت أسنانه التالفة بالتبغ، مستنداً إلى بندقيته** " [932]، إنّ إشارة الراوي الخارجي إلى درجات الحرارة المرتفعة التي تصل إلى 47 مئوي، دلالة على أجواء السجن المريرة التي عاشها الأسرى، فهم ينضحون عرقاً متواصلا بسبب سخونة الجو في تلك البلاد وقد أثرت تلك الحرارة حتى على الأشياء المحيطة بهم، ومنها الأزهار فقد اختفى رونقها وأصبحت كأنها معدنية.

تناول المنظور السياسي في بعض القصص أيضاً، مسألة العنف السياسي ومعاناة السجن المعاشة من قِبل مجموعة من الأفراد، فترد قصتا (غرفة في درجة 45 مئوي)و(داما،دامي،دامو)[933] لرصد ذلك المعنى. ففي قصة(غرفة في درجة 45 مئوي) الـ"معروضة بلهجة واحدة مسيطرة على السرد"[934] من قِبل الراوي الخارجي الذي رصد حالة الظلم والاستبداد التي مارستها السلطة ضد أفراد الشعب المناوئين لأفكار الحزب الحاكم في الحقبة التي ذُيلت بها القصة عام 1977، وبخاصة الأفراد المنتمين للأحزاب وبخاصة الحزب الشيوعي، فوصف الراوي إحدى هذه الغرف بأنّها مضاءة بمصباح أحمر، وقد يكون في هذا اللون إشارة إلى شعار الحزب الشيوعي " فقد برز اللون الأحمر على الصعيد السياسي في القرن العشرين، وذلك حين اتخذت الحركة الشيوعية العالمية الراية الحمراء لتكون شعاراً لها وتغدو رمزاً لثورتها " [935]، ويرصد منظور الراوي أيضا باقي الغرف السبعة ويصفها بتفصيل دقيق، فهي من دون نوافذ، كما تشير محتويات بعضها إلى أنّها كانت غرف اعتقال وتعذيب " **أمّا الكتابة عن سبع غرف، خالية من النوافذ، واحدة داخل الأخرى، فمتاهة لم استطع الخروج منها. ولكني سأعطيكم وصفا مختصرا لكل غرفة من هذه الغرف، قبل أن اخرج منها دون عودة. الغرفة الأولى: صغيرة كمدخل، وضع فيها مدفع ذو عجلات إزاء نافذة غير حقيقية مرسومة على الحائط بالطباشير. الغرفة الثانية: مبطنة بالمرايا تعكس جميعها سلسلة نازلة من منتصف سقف الغرفة. الغرفة**

---

[930] في درجة 45 مئوي، مجموعة قصصية، محمد خضير: 78.
[931] نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 – 1939، د عبد الإله احمد: 79.
[932] في درجة 45 مئوي: 77.
[933] رؤيا خريف، مجموعة قصصية، محمد خضير: 61.
[934] الراوي والنص القصصي، د. عبد الرحيم الكردي: 138.
[935] دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب ديوان أنشودة المطر (نموذجا)، عبد الباسط محمد الزيود، ظاهر محمد الزواهرة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 41، العدد 2، 2014، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن: 593.

الثالثة: مكتظة بأشخاص متلاصقين فقد ثبتت قطعتا خشب في شكل علامة ضرب في مربع مرسوم على الحائط. الغرفة الرابعة: خالية إلاّ من كرسي يشبه الكرسي الذي رسمه (فان كوخ) في لوحة من لوحاته، أي انه كرسي ذو قوائم خشنة قطعت بلا عناية،... في الغرفة الخامسة: كرسي (فان كوخ) نفسه يجلس عليه رجل منحني الظهر حصر رأسه بين قبضتي يديه... وفي الغرفة السادسة: كلب موثق بسلسة، وعلى الجدران صور عديدة لنفس الكلب. الغرفة السابعة: سوداء الجدران أشبه بستوديو لتحميض الصور، مضاءة بمصباح أحمر " [936]، إنّ بعض الغرف كانت تحتوي أدوات التعذيب، فقد احتوت الغرفة الثانية على سلسلة نازلة من السقف، والغرفة الثالثة تحتوي على خشبة بشكل علامة ضرب، ومكتظة بأشخاص متلاصقين ببعضهم والغرفة السابعة سوداء مضاءة بمصباح احمر وهذه الأدوات لا تستخدم إلّا مع المعتقلين السياسيين "وعُلِمَ في ما بعد أنّ مكتب التحقيق الخاص لدى الحرس القومي قتل وحده، 104 أشخاص... وعثر في أقبية قصر النهاية*، الذي استخدمه المكتب مقرا له، على كل أنواع أدوات التعذيب الكريهة، بما فيها الأسلاك الكهربائية المزودة بكلابات وخوازيق الحديد المدببة... وكانت هناك أكوام صغيرة من الثياب الملوثة بالدماء منثورة هنا وهنالك، وبرك دم على الأرضية ولطخات على الجدران "[937]، إنّ تلك الغرف تحوي هواجس وأوهام ومخاوف، ما تزال قائمة متجددة، فهي تخص "مشروع قصة لم يكتمل " و"هذه التصريحات ذات قيمة خاصة " [938] تشير إلى دلالات ترتبط بتلك الحقبة الصعبة التي صُدِرتْ فيها الحريات وراح ضحيتها الكثير من الناس.

أمّا في قصة (داما،دامي،دامو) فيتناول منظور الراوي الداخلي (الذي يتموقع كشخصية مشاركة) مسألة الكفاح والنضال في مواجهة السلطة الظالمة، مصوراً "ما كان يعانيه الشعب من الاضطهاد والاستغلال والجوع والتعذيب والعوز على يد الحكام " [939]، لا لشيء سوى أنّ لديهم فكرا أو رأياً، يخالف توجهات نظام السلطة الحاكمة، فمارست ضدهم سياسة القهر والترهيب، فأصبحوا خاضعين صامتين في ظل سطوة جورها، " **لعبة الصمت، لعبة الحوار الأخرس، الداما. تعلمت اللعبة في السجن. وأعتقد أنّ كل بصرياثي من الجنس الأول يتقن اللعبة. في حين أنّ الجنس الثاني مشغوف بلعبة الدامي. أمّا لعبة الدامو، فلا يتقنها الا القلائل من البصرياثيين ينتمون إلى الجنس الثالث**"[940]، إنّ المنظور في هذه القصة مزج بين منظورين: المنظور الأول يرصد معاناة الشخصيات من تجربة محنة السجن وما تتركها من آثار في نفوسهم، فتضفي على حياتهم البؤس والحزن، ولعله عين ما وقع للراوي الداخلي الذي تعلم لعبة الصمت بعد دخوله السجن. إنّ حروف هذه اللُعب (داما،دامي،دامو) لعله تشير إلى ارتباطها بحروف لفظة (دم)، المعبرة عن القتل والقسوة، وقد دلّ تذييل القصة بالعام (1993) على حقبة ما بعد حرب الخليج الثانية، والانتفاضة التي قام بها الشعب عام 1991م، إذ أدتْ إلى ممارسة النظام شتى أنواع الظلم والجور، بحق أفراد الشعب من إعدامات واعتقالات وتعذيب، "وخلال التسعينات واصل النظام القمع على الرغم من الحصار والانهيار فكانت أجهزة المخابرات والأمن المتعددة تعتقل المواطنين بتهم مختلفة وتسجنهم أو تقتلهم من دون ذنب، فقط لأنّهم موضع شك أو لصلتهم بشخصية أو بحزب ولو من بعيد"[941]، وعلى أثر ذلك هاجر كثيرٌ من الناس لبلدهم وظلوا مشردين غرباء في أصقاع الأرض كما هي حال المرأة (السجينة) في القصة "**الجرحان المندملان المتقاطعان شكلا العلامة البيضاء الغائرة لجنسها. ولو إنّ هذه العلامة حُفرت على ظهرها لحسبتها من نساء الجنس الثاني. أمّا أفراد الجنس الأول فلا يملكون علامة ثابتة. ولا أعلم حتى اللحظة علامة الجنس النادر. لكن ما يربط الأجناس البصرياثية كلها علامة مشتركة. هي استعمالها افتتاحية (ادم) التي تذكرها بابيها المهاجر، وبعلامته التي جرحته بها قرون الشر والخديعة والعذاب، قبل استقراره في بصرياثا** " [942]، إنّ عبارة (بعلامته التي

---

[936] في درجة 45 مئوي: 11 و12.
[*] قصر النهاية:هو مركز وصي عهد الحكم الملكي الأمير (عبد الإله)، ينظر، موجز تاريخ العراق،كمال ديب: 76.
[937] العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار(الكتاب الثالث)، حنا بطاطو: 304، وكذلك، ينظر، موجز تاريخ العراق، د. كمال ديب: 77.
[938] مرآة السرد، قراءة في أدب محمد خضير، د مالك المطلبي وعبد الرحمن طهمازي: 105.
[939] القصة القصيرة في العراق 1967-1973: 30.
[940] رؤيا خريف: 61.
[941] موجز تاريخ العراق، د.كمال ديب: 247.
[942] رؤيا خريف: 66،67.

جرحته بها قرون الشر والخديعة والعذاب) مع ورود لفظة (آدم) المتضمنة لحرفي (الدال والميم)، تشير إلى مسألة التعذيب والقهر الذي جرى على شخصية المرأة(السجينة) ووالدها، فقد ترك التعذيب آثاراً وعلامات على جسدهما لن تزول أبداً، بسبب سياسات السلطة الظالمة التي لا تراعي حقوق الأفراد. ومن ثم يتحرك المنظور ويقترب من شخصية المرأة السجينة ويصف حالتها المؤلمة بسبب محنة السجن التي قاستها مع أمها وإخوتها، فقد طالت وحشية السلطة حتى الأطفال، فهذه المرأة سُجنت عندما كانت رضيعة مع أمها، وقد عاشت طفولتها في السجن، وكان لذلك شديد الأثر على نفسيتها "((**سُجِنَتْ مع أمها عندما كانت رضيعة. أتقنت اللعبة في العاشرة، السنة التي سُمح لها بالانفصال عن أمها ومغادرة السجن... أزيز الحشرات قوى إحساسها بقنابل دفينة في التربة، وتغريد الأطيار أوهمها بصمت الكهوف تحت الحديقة..... كلانا لا يجهل مواقع سجون بصرياثا المدفونة تحت الحديقة**"[(943)] إنّ عبارة (أزيز الحشرات قوى إحساسها) يشير إلى اقتراب المنظور من المرأة السجينة فرصد أحاسيسها ومشاعرها الداخلية تجاه ذويها فهي تشتاق إليهم وتحن إلى وجودهم بقربها، ومن ثم يتحرك المنظور إلى رصد حالة الأذكياء المسجونين قسراً تحت الأرض الذين يشكلون تهديداً وخطراً على سياسة النظام الحاكم، لأنّهم أذكياء وليس من السهل خداعهم "((**أيها الأستاذ، إنّ الشخص الذي ستقابله، هنا تحت الحديقة**))

- ((**أكاد أحزر، يا بني، الطريق إلى الأسفل، إلى السجن**))
- ((**نعم يا سيدي. نحن ندعوه جب الأذكياء المائة. هناك الأساتذة المدفونون الذين نسيهم الماشون على الأرض. لا أحد طليق منهم اليوم... هبطنا خمسة أذرع حتى اتسع المدخل في قاعدته، واعترضنا حاجز ذو قضبان مربع الشكل. كان الحاجز نافذة تطل على قبو حُبس فيه عدد من الرجال والنساء يتخبطون في ظلام الأرض، أو يجلسون حول مناضد رقاع الداما. كانوا يتلمسون الأحجار تلمس العميان، ويتلبثون طويلا قبل أن يستأنفوا اللعب. لديهم الصبر ليلعبوا أدوارهم التي لا تنتهي، فلم يعد وراءهم كسب أو خسارة، إنّما لعب طويل صامت.** " [(944)]، إنّ في تعبير الفتى (جب الأذكياء المائة. الأساتذة المدفونون الذين نسيهم الماشون على الأرض) إشارة إلى أنّ هؤلاء المسجونين يحملون فكراً وثقافةً، ولكن غُيبوا في السجون والتزموا الصمت رغماً عنهم ؛ لأنهم يشكّلون خطراً على نظام السلطة لما يحملوه من وعي قد ينتقل إلى الآخرين، لكنهم لن يستطيعوا أن يعبروا عن أفكارهم النيرة؛ لأنهم مسجونون في ظلام دامس تحت الأرض، ولوقتٍ طويل حتى نسيهم الناس. إنّ هذا الصراع يمثل " علاقات التناقض بين فكر الطبقة الحاكمة وفكر الطبقة المحكومة [(945)]، كما يعبر الراوي عن ذلك السجن في موضع آخر بأنّه (جب)، وستمثل العودة إليه انتحاراً وهلاكاً حتمياً "((**استأنفت هي: ((لعبة بعد لعبة نخسرهما نشعر إنّنا تقدمنا مئة عام إلى أمام. إلى الجب الذي خرجنا منه والذي سيسجننا إلى الأبد بعد عودتنا إليه. انه هنا تحت أقدام سريرنا**)).

قلتُ: ((سمعتُ عن هذا الجب. ولكنك لستِ مذنبة كي تقودي نفسك إلى هناك. تقدمين على الانتحار بدفنك نفسك فيه)) " [(946)].

أمّا المنظور الثاني فيرصد حالة الخوف والرعب الذي يعيشه أفراد المجتمع، نتيجة قيام السلطة الحاكمة بإعدام كل من يخالف توجهاتها وأفكارها، وهو ما حصل للأساتذة المشنوقين الذين طالتهم أيادي السلطة وقضت عليهم وبأسلوب مُهين، " **ظهر أمامي على الرقعة صف من أشجار البخور الصحراوية علقت عليها جثث الأساتذة المشنوقين الذين خسروا دسوت اللعبة أمام الملك المعيني (ذريح). كانوا عشرة أساتذة يسيل صمغ الأشجار العطري على جباههم، ويسمّر آخر كلمة طافت على شفاههم قبل أنْ يرصفوا حروفها على الرقعة. خلف الشجرة العاشرة يختبئ الملك (ذريح) الذي برز فجأة ونصب رقعة الداما. كانت**

[(943)] رؤيا خريف: 66.
[(944)] نفس المصدر: 75، 76.
[(945)] الأدب والأيديولوجيا، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مجلد الخامس، عدد4، 1985:60.
[(946)] رؤيا خريف:68.

الأشجار المصفوفة قبل آلاف السنين على الرقعة المعينية التي قهرت عباراتها الأستاذ العاشر وسببت شنقه، مسمرة أمام ناظري"[947]، إنّ هؤلاء الأساتذة ساروا باتجاه يتعارض مع مسيرة السلطة الحاكمة التي تمارس سياسة دكتاتورية جائرة ولا تراعي حقوق الآخرين، لذا فقد كان مصير هؤلاء الأساتذة الشنق، وقد أدرك الراوي الداخلي (عطار الأشواق)هذه الحقيقة القاسية، فتوجس خيفةً من أنْ يطاله ذلك المصير.

وجاءت بعض المنظورات السياسية لتسلط الضوء على واقع الخراب والدمار الذي تخلفه الحرب على الحياة الإنسانية والطبيعة، فهي تُزهق الكثير من الأرواح كما تُجري سيولاً من الدماء، ونجد ذلك في قصص (التابوت، رؤيا خريف، الحكماء الثلاثة، بلاغات من المرصد، قناع غابريل غارسيا ماركيز)[948]. ففي قصة (الحكماء الثلاثة) يعمد المنظور السياسي إلى إدماج الواقع بالأساطير القديمة (أسطورة اتراحاسيس) [949]،" إذْ إنّ كلا من الملحمة السومرية والقصة القصيرة تتخذان من اتراحاسيس بطلا لهما " [950] فتتداخل الأحداث الأسطورية بالأحداث الواقعية، ومنظور الراوي الخارجي هنا ينقسم إلى منظورين: المنظور الأول: منظور بعيد يرصد أجواء المدينة أثناء الحرب، والفوضى المنتشرة فيها بسبب الحرب الطاحنة في المدينة، إذ سيذهب ضحيتها الكثير من الناس، ويتحرك المنظور مع شخصية الحكيم (اتراحاسيس) الذي سيوقف تلك الحرب ويطفئ لهيبها بحكمته وفطنته، فهذه المواقف الصعبة تحتاج إلى شخص حكيم ذو فطنة ودراية لكي يجد الحلول لتلك المواقف " **ولم يكن احد من أهل المدينة ليتعرف في وجوه الحكماء على مسحة خاصة تميزهم عن الرسل الذين توالى قدومهم إلى المدينة طوال الأيام الماضية، مبعوثين من مجلس الآلهة في (آشور) لاستطلاع جبهات القتال. كان هؤلاء الثلاثة آخر الرسل. الحكماء الثلاثة آخر الرسل الذين ارتقوا من ارض السكون والحجارة إلى ضجيج المدينة الواقعة عند فم الأنهار وحافات الأهوار، هذا إذا شبهنا رحلتهم الطويلة بصعود سلم مؤلف من عشرات الطبقات الأرضية. أولهم يُدعى (اتراحاسيس) إضافة إلى ثلاثة ألقاب منحتها إياه الآلهة تقديرا لحكمته، والآخران تابعان اختارهما الحكيم ذو الأسماء المتعددة من بين مدوني الملاحم والتعاليم.**" [951]، إنّ تعبير الراوي في قوله (أولهم يدعى اتراحاسيس إضافة إلى ثلاثة ألقاب منحتها إياه الآلهة تقديراً لحكمته) يدل على تلك الصفات المميزة لهذا الحكيم الذي له القدرة "على معرفة كل شيء والتنبؤ بما سيحدث " [952] ومواجهة مصاعب وأهوال الحرب، وإنهاء الصراع لكي يسود السلام في أرجاء البلاد وينعم الناس بالطمأنينة والسلام، لذلك فقد أعطته الآلهة ثلاثة ألقاب لبراعته وحكمته في معالجة الأمور، وبعد ذلك يتحرك المنظور مع شخصية (اتراحاسيس) في مجلس الآلهة فيرصد غضب الآلهة وتوجيهها للحكيم لكي ينشر السلام ويوقف الحرب التي ملأت الأرض بالدماء والجثث، وعندها تستعيد الطبيعة رونقها وجمالها " **كان اتراحاسيس يفكر بتلك المقابلة التي حدثت في مجلس (الآلهة). فقد استدعوه ليبلغوه حلم (سنحاريب) الرهيب عن سيول الدماء التي فاضت على أرض (باب سالمتي) القديمة، وأمروه أن يذهب إلى هناك لتحرير تقرير عن المعارك الدائرة... أمّا سن المنير فقال:((لينقشع الغبار. وليتوقف المطر الدموي. ولتتدفق السيول الغزيرة فتغسل الأرض من الدماء ولجثث وتجرف بقايا الأسلحة المحطمة. وليظهر السهل الأخضر يشقه نهر الحياة جارياً نحو البحر البعيد)). ثم جاء صوت (آشور) الهادئ العميق: (ليسد السلام بعد هذا وليتحاب الناس، وليتعظم شأنك أيتها البلاد الآمنة. ألا أسمعْ وصايانا أيها الشيخ الحكيم، ولتسرع إلى هناك))** " [953]، إنّ

---

[947] نفس المصدر: 73.

[948] ينظر، مجموعة قصص المملكة السوداء: 167، مجموعة قصص رؤيا خريف: 11،17،مجموعة قصص تحنيط: 141، مجموعة قصص حدائق الوجوه: 33، 97.

[949] (إتراحاسيس) ويعني المتناهي في الحكمة أو الواسع المعرفة.ينظر، المتخيل السردي، تأليف عبد الله إبراهيم: 24،وكذلك ينظر، ملحمة كلكامش، تأليف طه باقر: 247.

[950] المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، عبد الله إبراهيم: 23.

[951] رؤيا خريف: 18.

[952] بناء مدينة الرؤيا في لقصة العراقية القصيرة محمد خضير إنموذجاً، جميل الشبيبي: 75.

[953] رؤيا خريف: 25، 26.

غاية " الوصف تتمثل في تسليط الضياء على موقف ما أو حدث ما "[954] وهو حدث الحرب، فوصفها بشكلٍ مهولٍ فهي قد أراقت (سيول من الدماء)، ولعله أكثر المناظر قسوة وبشاعة لمصير الناس في تلك الحرب المدمرة.

ويرد المنظور السياسي في قصة (بلاغات من المرصد) للراوي الخارجي المتوقع كراوٍ كلي العلم، ليبين مدى بشاعة المشاهد والمناظر المتولدة عن ساحات القتال والمعارك الضارية التي تطال البشر والطبيعة بكل أشكالها، فلا يبقى أثر للحياة في تلك الأراضي ؛ بل تنتشر روائح الجثث المتفسخة والأشجار المحروقة، فيأتي المنظور من بعيد ليصور بشكل أوسع، المناظر الموجودة أمام المرصد فـ"يضفي الوصف واقعية على المكان والشخصيات "[955] في القصة "**تشممت الأرض حريقها بعد انتهاء المعركة. شواء اللحم، هشيم الأعشاب، رماد وتفسخ. هكذا استقر المشهد أمام جندي المرصد في قمة التل الترابي القائم على ضفة فرع النهر الملتف حول جزيرة صغيرة كانت الجزيرة كعكة متفحمة في وسط النهر الكبير: جذوع النخيل مجزورة، حلفاء موطوءة، حفر قذائف، بقايا أوتاد وأسلاك حقل ألغام تحيطها كسوار، ثلاثون ذراعا – عرض النهر – تفصل تل الراصد عن البرزخ العائم، المرمي المشترك لمدفعية خلف النهر وغربيه طوال سنوات الحرب** " [956]، إنّ تعبير الراوي (تشممت الأرض حريقها، شواء اللحم، رماد وتفسخ) يشير إلى احتدام المواجهات بين المتقاتلين في المعركة، فلم يبق سوى رائحة التفسخ والجثث المحروقة ورماد الحشائش، وقد طغى بثقله على المشهد، كما إنّ الأشجار والنخيل، مقطوعة الجذوع بسبب القذائف والقنابل المتفجرة في تلك الساحات والميادين، فتبدو بمنظر كئيب وحزين، ولكن بعد توقف الحرب وانتهائها، عادت الطبيعة إلى وضعها المعهود ونمت الأعشاب والأشجار، كما عادت وتيرة الحياة إلى رونقها، وأخذت السفن الصغيرة المحملة بالبضائع تجري في النهر، وحتى الحيوانات النهرية أخذت مواقعها على جرفي النهر، لا تفزعها أصوات المدافع والقنابل المدوية. ويشير ذلك إلى وجود فسحة الأمل برغم كثرة المهالك الموجودة على أرض المعركة. إنّ وصف تلك المناظر يعمل على " الكشف عن خبايا النص ومكونات الشخوص " [957]، فشخصية الجندي الراصد رفضت الحرب لما خلفته وراءها من مآسي نالت الحياة الإنسانية والحياة الطبيعية على السواء، فغابت أجواء الحياة البرية على جبهة الحرب وتحولت إلى أرض ميتة، لكن بمجرد انتهاء الحرب، تدب الحركة فيها وتتحول تلك الأرض وما فيها، لتكتسب طابعاً جديداً "**مرت سفينة أمام المرصد، سفينة صغيرة من تلك السفن الخشبية التي تنقل التمور، انسابت على السطح الفضي، وغابت قبل أنْ يتجسم شكلها المنسي في خياله. أول سفينة تمر منذ نشوب الحرب... توالى عبور السفن ست ليال، قبل أنْ يميل القمر بعدها إلى محاقه، ويلقي بآخر ثماره على مائدة الراصد.... وحينما رفع رأسه إلى ضفة الجزيرة المقابلة أذهله خروج معجزة أخرى من النهر، سرب من السلاحف يتسلق ضفة الجزيرة. ارتقى الراصد التلة مسرعا، ليشرف على الحقل الذي غطاه الربيع بدرع لامع متصل الأجزاء. كانت السلاحف تتزاحم لاحتلال كل شبر من حشائش الجزيرة المحروقة. جلس على كرسيه، ووشكه بصره كما تشله سفينة في الطمي، ولم يتجاوز حدود الزواج الجماعي تحت عرش الظهيرة الدافئة. هذه هي جبهته التي لن يبلغ عن حركة الأشياء عليها، جبهة الربيع الجديدة..** " [958]، إنّ تعبير الراوي الخارجي عن رجوع الطبيعة إلى وضعها السابق المليء بالحياة والنشاط بقوله:(هذه جبهته التي لن يبلغ عنها، جبهة الربيع الجديدة) هو إشارة إلى أضرار تلك الحروب وتأثيرها في شلّ الحياة وجعلها بائسة حزينة وانسحاب ظلالها القاتمة على مفاصل الحياة، فبمجرد انتهاء ذلك الاقتتال نرى تبدل الجبهة التي كانت مليئة بالموت ورائحة الحرق والتفسخ، إلى منظر مختلف وهو منظر الربيع حيث الحشائش بَدَتْ مخضرّة والحيوانات أخذت بالتنقل في الأرجاء بين النهر والأشجار، هذه جبهة الربيع وليس جبهة القتال. إنّ

---

[954] في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض: 252.

[955] اللغة الواصفة في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا، م.م. مكي محمد حسون، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد30، كانون الأول 2016: 355

[956] تحنيط، مجموعة قصصية، محمد خضير: 141.

[957] قراءات نقدية في نصوص روائية، د.فاطمة أبو رغيف: 55.

[958] تحنيط: 149، 15.

فكرة السلام لم تبارح شعور محمد خضير ودخائله، فتوضحت عبر النص هيمنة رغبة حقيقية في بناء وطن مستقر تسود فيه المحبة والطمأنينة بين أفراده، وتشرق فيه شمس المستقبل للأجيال القادمة لتزدهر الحياة.

وفي قصة (قناع غابرييل غارسيا ماركيز) يتناول المنظور السياسي أيضاً تأثيرات الحرب وآثارها المدمرة على الحياة البشرية ككل، ولكن بأسلوب غريب إذ "يكون الحيوان هو مدار القصة وشخصيتها الرئيسة"[959]، فالقصة تميل إلى الخيال، ولا يُخفى أنّ " قصص الخيال العلمي، وحكايات الخيال الجديدة هي الأنموذج الأكمل لحكايات المستقبل " [960]، التي ترسم انحدار الحياة الإنسانية نحو الفناء والدمار الذي قد يقع يوماً ما، وقد "اتخذت من الحيوان وعالمه رمزاً لعالم الإنسان " [961]. فيأتي منظور الراوي الخارجي ليزاوج بين منظورين: المنظور الأول: منظور بعيد يرصد هيأة الأرض بعد الانفجار النووي الكبير الذي أفنى الحياة من على وجه الأرض، فلم يبقَ فيها أشجار ولا بحار ولا جبال ولا كائنات حية، سوى النسر ماركيز الذي حلق في أعالي السماء حاملاً معه قارورة فيها تسجيلاً للجنس البشري المنقرض " **كان ذلك النسر العجوز – ماركيز – المحلق في الأعالي قد شاهد كرة انفجار هائلة تتصاعد من الأرض، وتكاد تصل جناحيه، فأصابه الذهول والارتباك لهذا المنظر العظيم الهول لأمة الأرض. كان محظوظا لان الأم المحترقة قد لفظته إلى الأعالي، قبل أنْ ترتج بالصاعقة المدوية، وقد سمع الدوي من أبعاد شاهقة، كما غشي بصره الحاد لمعان حارق. كانت قد قالت له: ((يا بني، يا بني العجوز باسم البشرية المغلوبة على أمرها أمسخك نسراً، فاصعد وخذ معك خطابك. لقد سجلناه ووضعناه لك في زجاجة كما طالبت، ولكن لن يتسع لك الوقت لأنْ تلقيه في لبحر، فبعد الكارثة لن ترى جبلا ولا بحرا ولا غابة. لا أوراق ولا أقلام ولا طابعات. اصعد قبل أن تتحطم روحك، وتحترق ذاكرتك، وتنطفئ عيناك. سيتلاشى كل شيء يا ولدي. والآن حلق يا نسري ولا تلفت عنقك إلى الأسفل أبداً))**، وهذا المنظور البعيد يعطي نظرة شمولية لتفصيلات متنوعة ترتبط بأحداث القصة، والمنظور الثاني قريب يرصد عالم الكائنات الفضائية الغريبة (التي سكنت الأرض بعد مرور سنين عديدة على الانفجار النووي) وهم "يرسلون رسائل السخرية والتنبيه والألغاز إلى عالم الكائنات البشرية الراقية المسرعة " [962]، كما يصف إحساسها بالحزن والغضب بسبب إهمال البشر لعالمهم الذين يعيشون فيه والبيئة الطبيعية التي تمثل أساس بقائهم، بسبب كثرة الحروب والنزاعات المؤدية لفناء جنسهم " **الاختراعات ! ما فائدة هذه الاختراعات إذا كانت كانت قد دمرتكم أيها البشر ؟ ضحكوا، ثم سكتوا، وانخرطوا في البكاء (البكاء حقاً).. أيها السادة، كم أنتم بائسون. لم تكونوا تدركون إلا قليلاً. الأبد، المجهول، الكارثة، الغد، تتجاوز علمكم. لم تكونوا قد حصلتم إلا على أبجدية رسمت لكم النهاية المحتومة. كان خيراً لكم ألاّ تتعلموا حرفاً واحداً يخص المستقبل، لا في مدرسة ولا في كتاب. كان عليكم أن تفهموا لماذا خُلقت الأرض، وما يعني شروق الشمس وغروبها، كان ينبغي أن تتعرفوا حقيقة أنفسكم... فكرتم في الزمن إلهاً صخرياً لا يدانيه الزوال، فنحتم في سفوح لجبال وجوهاً لكم. وها هي ذي نقطة صفر الانشطار النووي قد جمّدت المعنى الوحيد لما يسمى زمناً نهائياً في عصوركم الذهبية. يا للأغبياء !** " [963]، تشير بعض العبارات على لسان الكائنات الفضائية الغريبة (فكرتم في الزمن إلها صخريا، ونحتم في سفوح الجبال وجوهاً لكم) إلى ذلك الكِبر لدى بعض الأفراد المتسلطين الذين أدخلوا شعوبهم في حروب طاحنة، لا لشيء مهم سوى رغبتهم في حب التسلط والسيطرة لكي تُخلد أسماؤهم في التاريخ، على حساب ضياع الكثير من أرواح الأبرياء.

الخـاتمـة

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

---

[959] البطل في قصص الأطفال، أ.م.د. حسام عبد علي الجمل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم الإنسانية والتربوية / جامعة بابل، عدد خاص / المؤتمر العلمي السنوي الثاني لكلية التربية الأساسية 2008/5/5، العدد1، آب 2009: 9

[960] الحكاية الجديدة،محمد خضير: 14.

[961] الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث، د.صالح هويدي: 36.

[962] الحكاية الجديدة، محمد خضير: 15.

[963] حدائق الوجوه، مجموعة قصصية، محمد خضير: 104.

1- إن المنظور السياسي رصد الآثار المدمرة التي تخلفها الحرب على المجتمع، وخاصة الطبقات المسحوقة ؛ إذ شكّلت ميزة فريدة للقصص ذات البعد السياسي، وهذه الطبقات المسحوقة لم تَنلْ حقها لقسوة العالم المادي الذي تعيش فيه.

2- مثلت ثيمة الغياب في المنظور السياسي ملمحاً هاماً في النتاج القصصي لمحمد خضير ؛ فقد تناولت غياب الرجل عن المنزل وما يتركه من فراغ شاسع يتردد صداه عند كل أفراد الأسرة.

3- ركز المنظور على معاناة المرأة بشكل كبير ؛ إذ عاشت تحت ضغط ظروف القاسية للمجتمع، فأخذت دور رعاية الأسرة في ظل غياب الرجل مما شكل معاناة نفسية صعبة.

4- تناول المنظور السياسي حقب هامة في التاريخ السياسي العراقي، لاسيما حكم الدولة العثمانية للعراق والاحتلال الانكليزي، كما ركز المنظور على النزاعات السياسية التي جرت بعد قيام الجمهورية العراقية.

5- احتوت بعض القصص على الغموض التعبيري خاصة في مجموعة رؤيا خريف ؛ لأنّها كُتبتْ في ظل سيطرة نظام حكم دكتاتوري قمعي ؛ لذا التجأت إلى الرمز لنقد الواقع الأجتماعي والسياسي في تلك الحقبة.

المصادر والمراجع:

أولاً: المجموعات القصصية

1- تحنيط، قصص، محمد خضير، دار عشتار للنشر، القاهرة – مصر، ط1، 1998.

2- حدائق الوجوه، قصص، محمد خضير، دار المدى للثقافة والنشر، سورية–دمشق،ط1، 2008.

3- رؤيا خريف، قصص، محمد خضير، مؤسسة عبد الحميد شومان، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمّان – الأردن، 1995.

4- في درجة 45 مئوي، قصص، محمد خضير، منشورات الجمل، بغداد– العراق،ط1، 2006.

5- المملكة السوداء، قصص، محمد خضير، منشورات الجمل، بغداد– العراق، ط1، 2005.

ثانيا: الكتب

1 – الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية، د عبد الإله احمد، منشورات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد – لعراق، ج2، 1977.

2 – إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، ط1، 1986.

3 – البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د شجاع العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق– بغداد، 1994.

4 – بناء مدينة الرؤيا في القصة العراقية القصيرة محمد خضير أنموذجاً، جميل الشبيبي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ط1، 2007.

5- الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث 1960–1980، د. صالح هويدي، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد – العراق، ط1، 1989.

6- الحكاية الجديدة، محمد خضير، مؤسسة عبد الحميد شومان، شركة الشرق الأوسط للطباعة، عمان، الأردن، 1995.

7 – الراوي والنص القصصي، د. عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر،ط1، 2006.

8 – العراق، الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار(الكتاب الثالث)، حنا بطاطو، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت لبنان، ط1، 1992.

9 – في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة،الكويت،.1998

10 – القاص والواقع، تأليف ياسين النصير، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية، مطبعة دار الساعة، بغداد – العراق، 1975.

11 – قراءات في الأدب والنقد، د. شجاع مسلم العاني، منشورات إتحاد لكتاب العرب، دمشق – سورية، 1999.

12 – قراءات في نصوص روائية، تأليف د. فاطمة عيسى أبو رغيف، دار الينابيع، دمشق– سورية، ط1، .2010
13 – القصة القصيرة في العراق 1967–1973، د. فاطمة عيسى ابو رغيف، تموز للطباعة والنشر، دمشق – سورية، ط1، 2012.
14 – ما تخفيه القراءة دراسات في الرواية والقصة القصيرة، ياسين النصير، الدار العربية للعلوم ناشرون، المجلس العراقي للثقافة، بيروت – لبنان، ط1، .2008
15 – المتخيل السردي مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، عبد الله إبراهيم المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان، ط1، 1990.
16 – مرآة السرد قراءة في أدب محمد خضير، د. مالك المطلبي وعبد الرحمن طهمازي، دار الخريف للطباعة والنشر، بغداد – العراق، ط1، .1990
17 – معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان، ط1، .2002
18 – ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الوراق للنشر، بريطانيا– لندن،ط2، .2009
19 – موجز تاريخ العراق من ثورة العشرين الى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، د. كمال ديب، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط1، .2013
20 – نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 – 1939، د عبد الإله احمد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الإعلام، العراق – بغداد، ط2، .1986
21 – وراء الأفق الأدبي مقالات، د. علي جواد الطاهر، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، العراق – بغداد، 1977.

ثالثاً: الدوريات

1 – الأدب والأيديولوجيا، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مجلد5، عدد4، .1985
2 – أسلوب أحمد مطر السياسي رؤية نقدية، أ.م. دكتر شاكر عامري و أ.م.علي صيادانى و م.م. صديقة أسدي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 21، حزيران .2015
3 – البطل في قصص الأطفال، أ.م.د. حسام عبد علي الجمل، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم الإنسانية والتربوية / جامعة بابل، عدد خاص / المؤتمر العلمي السنوي الثاني لكلية التربية الأساسية 2008/5/5، العدد1، آب .2009
4 – التغيرات الاجتماعية والاقتصادية وانعكاسها على العائلة الريفية العراقية دراسة ميدانية، م.د. حمزة جواد خضير وم.م. أحمد جاسم مطرود، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد26، نيسان .2016
5 – دلالات اللون في شعر بدر شاكر السياب ديوان أنشودة المطر (إنموذجا)، عبد الباسط محمد الزيود، ظاهر محمد الزواهرة، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحث، المجلد 41، العدد 2، 2014، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.
6 – شخصية المثقف الماركسي في الرواية العراقية، صبا علي كريم المعموري، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 23، تشرين الأول 2015.
7 – الفانتازيا في الرواية العراقية النسوية بعد عام 2003 م دراسة في روايتي وفاء عبد الرزاق وإيناس أثير، أ.د. عباس رشيد الدده وم.م. سعيد حميد كاظم، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد 39،حزيران 2018.
8 – اللغة الواصفة في رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا، م.م. مكي محمد حسون، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، العدد30، كانون الأول .2016

9 – الموظفون البريطانيون في العراق خلال فترتي الاحتلال والانتداب (1914–1932م)، م. أناس حمزة الجيلاوي، مجلة كلية التربية الأساسية / جامعة بابل، العدد 7، آيار، 2012.

10 – نساء المملكة السوداء كلهن حقيقيات، محمد خضير، مجلة إمضاءات، حوار: حيدر عبد المحسن، العددان الثالث والرابع، كانون الثاني 2013.